صلوات عباد الشمس

ماجدة حسانين

دار دريم بن للطباعة والنشر
العنوان: مدينة العبور – الحي السادس، فيلا 8، مدخل 1
هاتف: 1003288596 (0020)
بريد إلكتروني: dream.pen92@gmail.com

صلوات عباد الشمس

ماجدة حسانين
الطبعة الأولى، القاهرة 2020م
غلاف: عمار جمال
تنسيق وإخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
رقم الإيداع: 19408 / 2020
I.S.B.N | 978-977-6794-48-1

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، و لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

ماجدة حسانين

صلوات عباد الشمس

دريم بن
للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

الإهداء

حينما كنت تحاولين جاهدةً ختن اندفاعي

كنت برويةٍ مطلقةٍ أطلق نزقها كحروفٍ حرة

ناصعةٍ ككلمة حقٍّ

واضحةٍ كفضيحة

....

إلى أمي؛ لولاكِ ما كان كل هذا الحبر.

إلى كتفي وسيفي وبيادر حنطتي

إلى بوصلة روحي بجهاته الأربعة

عماد القلب وسيده..

أنا قصائد تترى..

أنا من طينٍ.

لذا؛

كلما تلاثمنا..

ينبت الزهر على شفتيّ.

//1

أكتب دون قوافٍ

حروف الهجاء متلعثمة في سطري

أغلب الكلمات للتشبيه

لا شيء يصف عمق اللّحظة

لا أنتمي لأيّ بحر... أنا الغارقة في الصّدق

تاركة المعنى واختلاجاته في عمق الحرف

//2

كانت أمي تندهش

من قطعي لأشواطٍ طويلةٍ، لسقي حصاد القمح

مرددةً: ثواب سقيا العامل تحت الشمس عظيم

لم تكُ تعلم أن غايتي على الطرف الآخر من الغيط

يصب الشاي للحصاد

ذاك الموسم، شح الماء وزاد سعر الشاي

//3

نحن قصائدٌ

الوجع مقيمٌ في كلّ شطْر

أبيات الحنق بدون قوافٍ

الضّجر علاماتٌ فاصلة

المعنى مشابهٌ للضّياع

حروفُها.. عيون أخفى الدّمع ألوانها

نقاطها تنتحب

أنينها... نقطة تنهي سطْرها المصلوب

على جدران الرّوح

//4

أذكرك بين الناس سرًّا

وإن انشغلت عنك بالناس

أذكرك كناسك يمسك مسبحته

يردد قلبه... تعد أصابعه

أحبك، أحبك، أحبك

//5

في كل اللقاءات المدبرة

منزوعة الدفء

المبالغ في زيف ضحكاتها

ألتقيك.

طيفًا أشكو له برد الجوارح

واختناق الوقت

تمطر مزن التمني تترا

على عطش ساحاتي

ترفد بماءٍ أجاج

قناة تنبت الآن على وجنتي

//6

في عمق الدّفء
على شاهقات ترفُ الرُوح
ما نحياه من سرورٍ
وحين نغمض العين على موطن اللذّةٍ
سجّل نِعمك
وأذْكر مَن هُم على الطّرف الآخر
من الحياة.

//7

أحبك..

كصدق حاجة مغتربٍ لاحتضان أمه

كضحكة أضلعه حين تطوق طفلته

التي أصبحت تنطق اسمه دون تعثر

أحبك..

كفرحة جدران بيته التي تجدد لونها

لتخفي تجاعيد الحزن الذي خلفه الغياب

أبي...

لم يملك أبي كاميرا ليصورني بها
كنت آخر أبنائه الاثني عشرة
والأقرب شبها له
كان مشغولا بمواسم الحصاد
وتعطل ماكينات الري
التي عاندني عطلها
في كل يومٍ من ذكرى ميلادي.
الماكينات أولًا
وسنابل القمح الصفراء
أما الخضراء.. أنا
فتقوى على الصبر
اختار لي اسم ماجدة
هديةً منه للطبيبة التي وُلِدت على يديها
واختارت أمي "نورا"

كشعاع حلّ في نظرتها الأولى.

عشت جدلية الاسمين

بين تغزل أبي في الطبيبة وسطوة الأمومة

عيد ميلادي الخامس والعشرين كان أول احتفالاتي

أطفأت أول شمعةٍ

تجاوزت ذاك اليوم بعشر سنواتٍ الآن

وأجهل حقيقةً..

ما الحكمة في الاحتفال

بأعياد الميلاد وقد مات أبي منذ عشرين عاما

وأخذ معه كل الشمع

لم يحتفل بأنثاه الثامنة.

لم تصافح يده الطيبة يد زوجي قائلًا:

"زوجتك ابنتي".

ولم ير نوّارته بثوبها الأبيض.

مؤثّرةٌ مواقفي معه رغم قلتها

كمشاركته مشاهدة الفيلم الأجنبي "قصة حب"

ما زلت أسمع صوته قائلا:

"يا الله" حين ماتت البطلة.

علمني نطق الفصحى

تصفح الجريدة

شرب القهوة

ومتعة المقدمات الموسيقية لحبيبته أم كلثوم.

أخبرني أن لحم الماعز أعظم اللحوم وأطيبها

والملوخية بالأرانب تقينا ضربات الشمس حين تغضب.

كان يذكر حذائي في خطاباته لأخي المغترب

بأنه أفضل من رعاة البترول

على هيبته التي يبدو عليها؛

كنت الوحيدة التي سمح لها بتفتيشه

على عتبات البيت الكبير به

والأخضر بقلبه

لأخرج من جيوبه حلوى

والكثير من السكاكر

الصعيدي يخجل من إظهار الحب

حتى للأبناء.

لكن رفع يديه تسهيلًا ليدي كي تنهب ثروةً خبأها

عن عشرات العيون اللوامة

كان أحب إليّ من ملءِ الأرض بكلمة أحبك.

أمّي...

منذ اخضرار عودي

كانت أمهاتهن تعلمهن

كيفية وضع أحمر الشفاه

وكانت أمي تعلمني

كيف أفرد ظهري

كيف أثبت دبشك البندقية تحت كتفي

"أغمضي عينًا.. حددي بعينك المفتوحة قلب الهدف

اِجعلي رأس المؤشر.. أسفل منتصف الهدف..

اِضربي"

تشجعهن أمهاتهن بأدوات التجميل

تربت مشجعةً على ظهري المفرود

بعد إصابة الهدف.. "لا بأس"

يتفاخرن بالفساتين الملونة

السادة والمنقوشة، التي تحدد الجسم

والأخرى التي تعانق الخصر

أعدّ على أصابعي الصغيرة

كم هدفًا فزت باقتناصه

وبفوارغ الرصاص أصنع عقدًا

تتوسّطه رصاصةٌ مكتملةٌ

كرةٌ بلاستيكية نقص ثلثها

نملأها بالكيروسين

لا يجوز لي الدهشة

أبتلعها مع ريقي المر

تأمرني...

"هيا أشعلي عود الكبريت"

أشعله...

نفعل ذلك مرات كثيرة

نلقي الكور حول محيط غيطان الذرة،

ننتبه ألا نصيب الزرع

وأن تصاب الذئاب بالهلع

فلا تقرب البيت

لم أر أمّي مصابةً بضعفٍ قط

قويةً كوتدٍ يثبت جبلًا كي لا ينهار

تقول بترقق ليس من طبعها

"أعلّمك حتى وإن كنت في غابةٍ

تستطيعين العيش بقلب نمر، لا يخاف

سريعٍ وقويّ"

هي من أقنعتني أن النمر ملك الغابة

ولا حاجة للزئير لتكتمل القوة

"أنت وإن خرجت على الناس

والعجين بيديك ستخطفين لب الرجل الرشيد

لا حاجة لك بما تفعله البنات"

أمهاتهن يتبارين بأناقة بناتهن،

هذا كل ما تملكنه

وأباهي الكون بأمي

التي ما إن تضحك يبسط الله يده

لكل من آمن ومن صدّق ومن كفر.

القرويون..

قرويون.

نعرف الوقت من زقزقة العصافير صبحًا

من درجات اصفرار الشمس.. نهارًا

الشمس ربة الغيطان والخير.

وفي المغيب؛

نفهم نعيق الغربان بجنائزيته

وقت هجومه على كنزنا في سنابله.

أو حين يتجمهرون في حدادٍ على ميتهم المقتول

بيد الفلاح الغاضب من انتهاكهم لقمحه.

فلاحةٌ أنا بكفّين مخضبين بأعناق الفريك

مُعَمّدةٌ في مياه ارتوازية غير آسنة

ضحكتي ممتدة في غناء الصبايا.. مواسم جني الذرة

أُدوزِن الحرفَ على نوتات جوقة عصافير قيلولة الظهر

وصياح الإوز عندما يجوع

فلاحةٌ تبذر الحب فتنبت الأرض ويفيض الخير

فتصدح أغاني الشبع

قرويون.

الشمس على رؤوسنا والرب في الصدور

صلواتنا زرعٌ

ركوعنا غرسٌ

وقيامنا حصاد

أبناءٌ للشمس وأشقاءُ للنخيل

قلوبنا خضرٌ وبيضٌ كانفجار زهر القطن في مواسم القطاف

قرويون.

ضحكتنا تتخطى حدود الوجود

أكفّنا تبذر الخير.. مشققة نصافح الله بها

لنا بناتٌ هن وجوه الفرح

وبنون يسندون الظهر

حين العُمر يميل

الأماكن..

الأماكن التي تركناها عنوةً

صوت الحنين فيها يصدح بين غرفها الفارغة.

كانت مكتملة الدفء

وقت كنا فيها

أصبحت غصةً في صدر المكان

لا نقدر على النسيان ولا حيلة لنا في الرجوع

هنا كنا نتعانق.. حين نتصالح بعد خصام

بقايا زينة أعياد الميلاد

ما زالت مصلوبةً على الحائط

أول مناداةٍ للأمومة

والأكف الصغيرة

تستند عليها في أولى خطوات الملائكة الصغار

وهناك...

كنا نتقافز فجأةً على الأسرّة التي كانت تتسع لنا

وتبتهج لأغانينا الصاخبة

الذكريات التي تسربت من أعمارنا بين زواياها وفي طرقاتها.

أضفت عليها القدسية

باتت زيارتها سنةً مُحرمة.

والطواف حولها إثما

تعاتبنا كلما أخذنا الحنين للنظر

إليها من وراء حجب.

تعرفنا

وتسائلنا..

كيف استطعنا الهجر؟

كيف قوينا على قتل حياتها؟!

الأماكن التي تركناها عنوة

تجهل بإقامتها فينا.

تجهل أننا نفتقد حتى لصوت صرير أبوابها

في ساعات انتظار الغائب

وصلح المخاصم

وموعد رجوع الملائكة

الأماكن التي تركناها عنوةً

تبكينا ونبكيها

برقيةٌ للغائبين..

الذين ماتوا

الذين غابوا

الذين ابتعدوا

الذين لم نَبُح لهم بحبنا

الذين لم نُظهّر لهم الكائن المدهش

الذي خَلّفه الإحساس في قلوبنا

لغبائنا.

لإثم الكبرياء فينا

الذين لم نُطِل لحظات عناقهم

لم نُقبّل أيديهم وجباههم

الذين لم نقل لهم نحبكم كما يجب

أضاعتنا الدنيا في الانشغال والإلهاء

بدعوى الوصول لغايتنا

لم ننتبه لأيديهم التي رفعت عن أكتافنا

على تحّدب ظهورنا فجأة

حتى التفتنا فلم نجدهم.

غاب السند..

وشخصت العيون في الفراغ المكتظ بعطرهم

لمن كانوا معولًا وحجرًا –

كتفًا وسندًا

لكم رحمة الله ولنا الندم

ابنتي..

ابنتي..

حزنت عليك.

ولم أستطع فعل شيءٍ لأخفف الأمر عليك

بكاؤك أحرق آخر ما لدي من شجرٍ.

يدي لم تقوَ على التربيت كما اعتادت معك

عناقك وهدهدتك في صدري

غناؤنا معا...

كلها باتت مستحيلةً.

يهدئ حنقي الآن.

كوني عانقتك كثيرًا طيلة السبع سنوات

وقلت لك أحبك

حتى رأيت الملل على وجهك

أعتذر عن مقاطعتي لك

وأنت تلعبين

ترقصين

تأكلين.

كلمة أحبك تلقائية

تخرج من قلبي

وتترجم على لساني الذي قاطعك.

سامحيني

ابنتي الحبيبة..

ولا أحَب منك إليّ

افعلي ما يرضيك

ولا تموتي إلا وأنت إنسان

ولا تنسي قراءة كتابي لك عن الله

ولدتك حرةً وأنت كذلك

رغم أنوف الأشخاص

والأشياء..

والعقائد

الله بداخلك أولًا.

ثم ينعكس على ما تواجهين

أو العكس

الغريب يا حبيبتي

رغم تجاوز ولوجي هنا الساعات العشر

إلا أنه لم يسألني أحدٌ!

كنت واثقةً من تلك المفاجآت

فهو يعرف الإجابة عن كل سؤال

لم يوكل أحدٌ بسؤالي

عن ربي وديني ورسولي

سوف أراسلك كلما أتيح لي

كوني بحياة

...

آه يا ابنتي

كبرت ومتّ وأنا أعرف

أن الأمهات لا تموت، تمامًا كما الأوطان

لكني صدمت في أن المرأة

لم تُنصَف كما يحقّ لها

في أي من الديانات الثلاثة

وأن الرجال يدافعون عن عدم

استحقاقها ذلك بآراءَ هشةٍ باردةٍ

الأمر مُربكٌ.

هنالك عطبٌ ما

لا نعرف الحكمة من وجوده.

كل صدماتنا التي تلقيناها في الحياة

ستكون هشةً مقابل اكتشافنا

أن لا وجود لحكمةٍ لهذا الأمر في الحياة الآخرة

لا حياة هنا..

الصمت والسكوت فقط

الحياة تمر حولنا.

ونحن لا نحرك ساكنا

لا شعور يسود المكان غير الشعور باللاشيء

وانتظار الإجابة عن الاستفهام الذي يلحق بماذا بعد؟

والرجاء سيد الموقف

لو يعوضنا عما واجهنا

عن انتقاص حقنا

عن كل الأمنيات التي لم يفتح لها باب

من أي من السموات السبع.

عن وأدها في صدورنا.

أصدقاء السماء

وما يُحدّب الظهر

إلا حمولٌ قد نأى بها الكاهل

لوحة الوجه مرسومةٌ بخطوط التجاعيد

الصوت خفيض، نُزع جوابه

في أغنيات السبوع

وزغاريد ليالي الزفاف

وعويل المآتم

تعلق الحناء بالكفوف

وطين القبور

وسكر تجميل العرائس

ألسنتهم تنطق بالحكمة

في ساحات صدورهم

شظايا الحرب والحياة

عرائش عنب

أغصان تعب

وارفون بالحزن يستظل بصبرهم

الأزمان والأزمات نطقت على ألسنتهم

أقوالا يقوى بها العود المتأود

والفؤاد البكر اللوام

هم رحمة الله وبرهانه وآياته

حين يصعدون: تفقد السماوات زرقتها

ويتبعهم اخضرار الربيع وبركة الوقت

بعدما يتركوننا بقلوبٍ عرجاء

يضربون السماوات بأرجلهم، تنبها لنا

فتسقط السحب دمعات على وجوهنا

يطويهم الله في يمينه

ويبسط الأخرى لتتلقى الرثاء والدعاء

رسائل محترقة

للتو انتهت مرافعتي أمام القضاة

نواب عدل الله في الأرض

طالبت فيها بإصرارٍ وقوة ميراثي الشرعي.

كلفتني كتابة هذه المرافعة خمسة عشر عاما.

أكتب وأنسى، وأحاول تقبل الظلم

أبلعه بريقي المر.

تصفعني قوتي بين الحين والآخر لأفيق.

أتقرأ عليّ بنود قوانين الحق

وكيفية اتخاذ أول خطوةٍ

في طريق: كيف للمرء أن يصبح مثال قوة.

كتبت رسالة لزوجي السابق.

شرحت فيها محاولاتي الفاشلة

في النوم دون هدهدة ذراعيه ساعات الأرق...

كيف لم أنتبه لنعمة النوم العميق.

كنت ترافقني حتى في الأحلام

تمسك بيدي لتنقذني من الانزلاق بين الحواجز الأسمنتية المتكومة على الشاطئ.

حين كنا نتسلقها سويا

وأسبقك في الصراخ

أعلن حبي لك بآخر درجات الصوت والحب

كنت منقذي حتى من الانزلاق

إلى حماقات صديقاتي اللاتي طالت مطالبهن

بأن أتحرر منك ولو قليلا

لم أصدقك حين قلت أني تاج النساء في قلبك

وأن حبنا ليس سجنًا

بل نحن ملوك أنفسنا

لا أعرف بأي كلمةٍ أناديك الآن..

تغرس الوحدة مخالبها في خاصرة الوقت.

تشعل حريقًا غير قابل للانطفاء في جحيمي السفلي،

الحبوب المهدئة وصفها لي طبيبي النفسي

كي أستعيد نعمة النوم.

فشلت هي الأخرى بعدما فشل الخمر.

لم أعد أرى إلا طيفك يعض على أنامله

متوعدًا باستمرار حجب النعم.

هامسًا بثقةٍ كيقيني

"قضي الأمر يا ملكة النساء"

أنهيت أيضًا رسالة إلى أمي، أعلنت بها

أنني أحبها بنصف قلبٍ

وقليلٍ من العاطفة

وحكيت لها أسباب النصف..

تذكري الدمى التي أهدتنها خالتي؟
فرحتي بها إلى الآن صعب أن أصفها.
ثلاثة أيام وأخذتها مني دون علمي
وأعطيتها لبنات ابنتك الكبرى
كيف استطعت تحطيم قلب ابنتك الصغير،
لماذا سرقت مني طفولتي وبراءتي
يدك آثمة ولا قلبَ لك
يدك التي قطعت فستاني المفضل
عقابًا على أنني لم أرد حين ناديتني لشراء الكبريت
—الذي لا تعرفيه— أنّ عدم ردي كان لتورم قدمي
عندما لم يرحمها مسمار دخل ثلثاه فيها.
حشرت فستان دميتي التي سرقتها
حشرته في فمي وانتزعت المسمار.

هل سمعني قلبك كما يفعل في صدور الأمهات؟

هل شعرت بتألم كبدك وفلذته؟

لا أحبك بنصف قلبٍ الآن

لا أحبك من الأساس

أنت مجرد رحمٍ، أمره الله باحتوائي

ثلاث رسائل أنهيت كتابتها

وللتو انتهيت من نفض غبار حرقها.

بكاء الأشياء

دموع الحزن التي ذرفتها

لا يأبه بها قلبي الوارف

يراها كما أوراق الخريف تتساقط

واثقًا برجوع الربيع يومًا

هل سبق وخلف الربيع موعده!!

الكائنات كلها تبكي

عهدنا الأول من الحياة البكاء

نبكي حين نفرح

ننتحب في الحزن

أما في الخوف والقلق والرهبة

يكون الدمع متحجرًا خلف المقلتين

عاجزةً قدماه عن الركض

يلقي بنفسه من سفحهما..

يتساقط تترا

من قال أن البكاء مقتصر على ذوي العيون؟

البيوت تبكي إن تأخر أصحابها في المجيء.

يسبق دمع جدرانها التي طالما

شهدت على ضحكاتهم وعتابهم.

متحملةً كل الثقوب في صدرها

الذي يسند المسامير المتدلية منها

صورهم مذ كانوا صغارا

حتى وضع الشريط الأسود حدادًا على موت أحدهم.

دمعها حدادٌ وصدرها حزين

الفأس تبكي الفلاح الذي

كان يضرب بها قلب الأرض

ليتفجر تحت قدميه طيبها

فينثر بذور القمح فتشبع بطون الجوعى

تبكي اليد التي فارقها النبض

اليد المباركة التي منحت الحياة باسم الله للطين

ثورة الأحمر..

في حيرةٍ تبسط ورقةً بيضاء على منضدةٍ
اعتادت فرد العجين عليها.
عجينها مطيعٌ، يُشكَّل كيفما شاءت.
بين أصابعها تلف قلّما أبى الترويض.
فشلت محاولات ترويضه
كما تفشل اللبؤات في طاعة من
درّب أسودهن على القفز بين حلقاتٍ حديديةٍ مشتعلةٍ
في استعراضٍ يصفّق له الأطفال بحماسةٍ
غير مدركين صعوبة وإصرار ما قبل الدقائق.
ما قبل العرض.
ذراتٌ من الدقيق أحاطت بورقتها.
سألت: "لماذا لا نكتب بالأبيض على صفحات بيضاء؟"
بنصف فمٍ تبتسم.

تهز رأسها الممتلئ بالحكايات وهي تقول:

"العيون لا تقرأ النقاء في أبيضه"

ملعقة من مسحوق (الببريكا)

تذيبها في قطرات ماءٍ في فنجانٍ صغير.

كان منسيًّا في أحد الأدراج بعدما فقد الدرج يده الوحيدة.

تغمس سن القلم في الماء الملون.

في تحدٍّ تكتب.

تفض بكارة الورق

تهمس لنفسها: "حقيقٌ على النساء أن يكتبن بالأحمر..

الأحمر فحسب.

الأحمر ثورةٌ وغضبٌ،

وتذكيرٌ بتفردنا الدموي الشهري."

أضاحي..

كلنا أضاحي..

مذبوحون بمديةٍ صدئةٍ

على أعتاب المحاولة

– العروس التي أُجبرت على الزواج

– الجندي المبتورة قدمه، وحلمه

– المرأة المسحولة في ميادين الحرية

– الطفل المباع، والطفل الشحاذ، والطفل المقتول

– الطبيب الذي يمسح على شاربه المصبوغ بعنايةٍ.

بوضوحٍ تقطر يده دم البراءة

– الحاكم الأصم، الذي يسوقنا بعصا الخوف

كلية للبيع

منويات نشطة للمتاجرة

جسد بض للمتعة

بكم؟!

ببضع وجباتٍ تشبع بطون الجوعى

بجنيهاتٍ تنقذ المرضى

بحرامٍ يشتري حلال الذرية

الثمن بخسٌ

الحرة جاعت ومستأصل ثديها

الخوف سرطان بامتداد القدم جنوبا

والرأس دلتا

ورسا الإرهاب في سيناء

وأصبعاها مقطوعان من كفها

أرجل كرسي عرشه مغروسٌ

في جهات الجسد الأربعة

مذبوحون.. كالأضاحي

كل عام ونحن الخراف

بكاء النيشان..

بما تبقى من قوة تنظر إلى جسمها

كمن يرى الجحيم بكامل هيبته

ترتعد.. تسأل

أين قلبي؟

لعشر سنوات والخذلان يقضمه

بماذا أُشبع الصغار؟

ما زال رطلان من لحمٍ على كتفي

وكسرةٌ من الخريطة

أوّاه – يا لحزني

فرغ ثلثا وعاء الوطنية

تغني بنصف صوتٍ

(ناموا العصافير على غصن الشجرة

فرحوا العصافير بضحك القمرة)

تخبئ آخر قطعة من قلبها

في ورقة جريدةٍ تلف عشاء الغد

بين عناوين الفساد

كبروا ولم تقدر بذلة أبيهم العسكرية

أن تحميهم من لسعات البرد

نور القمر ينعكس على نيشان الشجاعة

فيجهش الحائط بالبكاء.

أسوأ القصائد..

أسوأ القصائد:

التي تأتيك بإشارة

كامرأةٍ فاتنةٍ، تتأبط ذراع قوادٍ

أسوأ العاشقات:

التي تستبدل اسمك بـ(حبيبي)

أسوأ الرجال:

المتأهبون للانقضاض على التاء الفريسة

أسوأ الزوجات:

الخاضعات المترهلات الكئيبات

اللاتي نسين فنون الإغواء

أسوأ الأفعال:

سكب الود على عتبات الأوغاد

أسوأ الشاعرات:

اللاتي يكتبن بمؤخراتهن

أسوأ الأصدقاء:

رماديو المشاعر

البخلاء بأكتافهم واهتمامهم

أسوأ العشاق:

المغتالون لجمال النساء

أمام حبيباتهم

أسوأ العلاقات:

ذات الصفع من جانبٍ واحدٍ

غير مبادلة

أسوأ الأزواج:

المنحصرون في الكفالة،

المؤمنون بالامتلاك

أسوأ المعارف:

المعاقب على بقائك على نعجةٍ

وأنت الذي ذبحت له التسع والتسعين

أسوأ الماجدات

من كتبت ذلك

سرّك الحجر

وجعك..

الذي تخفيه عن الأنظار

الغصة العالقة بصدرك

تصارع الشهيق والزفير

كي لا تصفعك الحروف وتتهمني بالصلادة.

سألطف الوصف

سرك العظيم الذي ناء به كاهلك.

لا تلقه على أحد

قد تعتريك الراحة

اعلم أنها وقتيةٌ

كي لا تصفع نفسك مرتين

ذاك الحجر سرك وإن كان بغيضًا

اصنع منه شكلًا جديدًا

اجعله تراثيًّا

ستتغير نظرتك

وإن لم يخفّ وزنه

ولم ينزَح حمله

جميعنا تتراكم بجوفه الأحجار

قليلنا الذي لم يلقها في وجه البحر

كي لا يتعكر صفوه

وأسعدنا الذي يلقي التحية

على الجبال الراسيات في جوفه

اختصام

لقد حرموا الموسيقا[*]

ألجأوا الأمر إليك.

كيف إذن؟

وأنت خالق السيمفونيات واللحن.

الأشجار التي اتخذت العصافير منها أعشاشا،

تصدح أفراخها جوعًا

فتأتي أمهاتها بالحب

فتزقزق شاكرةً لك..

أليس ذلك لحنًا؟

عناقنا..

قبلاتنا..

تأوهاتنا..

وتلك الأشياء التي تحدث

ما هي إلا عزف ورثناه من آدم.

أول مايسترو لهذا الكون..

ترى من درّب آدم بعد علمه بالأسماء كلها؟

صرير الأقلام

وهي تكتب..

وهي تغوي..

وهي تنكر

وهي بالحرف تبتسم

موج البحر الثائر

الذي يجلد ظهر صخر الشاطئ

هدير الماء

جوقة إوزّات أمي

خلقنا للتمتع بالحواس

التي زرعتها يدك المباركة

أحقيقي هذا التحريم؟

إذن؛ ما الذي كنت تقصده حين صنعت لنا الأذن!

يا صاحب الملكوت..

نحن أبناء سيمفونيتك.

نحن أدواتك

أأنت غاضبٌ مني الآن؟

حسنًا..

أولئك المهرة في اللحن

لا، لن أسأل، أتدخلهم الجنة أو النار..

فهذا أمر مُربكٌ

فقط، أتسمح لهم بالعزف تحت عرشك.

فهم لم يفعلوا إثمًا

فقط، أجادوا استخدام صنعك

سوف أُنهي مناجاتي الآن

سنواصل بعدما أسمع أم كلثوم

وهي تمدح نبيك محمد في "نهج البردة"

إني أرى الله في عيون البسطاء

وقُرب أسِرّة الأطفال المرضى

عن الموسيقا(*) قال أبو حامد الغزالي الإمام:

"من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره؛

فهو فاسد المزاج ليس له علاج."

ولوج العاصين الجنة

حسبت أن "نورا" اسمٌ عاديٌّ

ولكل نورا

ما إن ينطق بـ(نورا)..

ترتب الفوضى بداخلي

وتنمو وتخضرّ أغصانٌ كانت عجافًا

ما إن ينطق "نورا"..

كأن الثمانية أبواب للجنة فتحت وانشغل حراسها بفرحتي،

فولجها العاصون بعد يقين طويل بالتحريم.

من أكون

أنا طبيعيةٌ جدًّا..

كـ الابتسامة التلقائية التي يبثها فمك

حين ترى عيناك طفلًا ملائكيًّا

وفجأة، تعانق تجاعيد الذعر جبينك

فقط لأن الملاك قد بكى..

عاشقةٌ..

كـ قصائد الصمت

التي تُقرأ من عيني عاشقَين – التقيا للتو

بعد سنوات لهفةٍ

ماجنة..

كـ رقص غجريةٍ

تقرع طبول الأرض بقدمها الحافيتين

فتجن عقولٌ حاضرةٌ وأنفاسٌ محتشدةٌ

تتابع غنج الخصر وفتنة الجوع لثمار النهد

قديسةٌ...

كسكينة الصلاة

بخشوع جوارح غاويةٍ، بكت

مخافة موتٍ قبل توبة.

ترويض

لقد روّضت خيولي جيدًا

روّضتها ليناسب جموحها

حدود مضمار الآن / اللحظة

نسيت أن الخيل الجامح لا يحجم

ونسيت أن الخيل يهوى المسافات الطويلة

بين إقبال الترويض وإحجام الجموح

أنا على قيد فقدان لذة الفوز

لا يحسب الصبر فوزًا

إلا حين يتخطى الخيل آخر حاجز

دون أن يسقط النبض من القلب..

موت / خسارة

عزيزي.. كيف حالك

كيف حالك..

أتوق لأعرف الإجابة.

أتخيلها جيدةً

وهذا الأمر يوترني

أريد أن تمر بك الدقائق

وصدرك ممتلئٌ بالحزن.

ضيقٌ كمن يصعّد في سماءٍ فضاؤها أكسيد الكربون.

ولا يفرج عنه إلا عندما تذكرني.

أتذكرني؟!

لم أشعر بذلك.

أنا أذكرك..

حين أُطفئ أنوار بيتي

وحين أداعب بطن أطفالي ليضحكوا طواعيةً

قبل أن تصل إليهم أصابعي

أرجو أن تضحك لشدة بلواك وقلة حيلتك تجاهها

عزيزي..

(المعروف اسمه في السماوات)

لكثرة ما ذكرته في رجائي

بأن تكون عيشتك حزنًا وهمًّا

ولأنه يرفع ممن دسست في راحاتهم جنهاتي.

ليدعون عليك بصدق فقرهم

لمَ غبت؟!

سؤالي مطرقةٌ..

ورأسيَ السندان

تتقاذف علامات التعجب ملطخةً بدمي

عكّر المرض دمك.

وأذاقك الذلّ بعد العزة

وقفلت السماوات في وجهك

وأذاب ملامحك

حتى لا يعرفك أولو القربى..

قضيت الوقت في الزراعة

ولم ينبت لي شيء

مسحت كفي على حداد ملابسي

وها هو القمح يخضرّ به مشهدي

أزرع ولم ينبت لي شيء

مللت..

وهممت بمسح كفيّ في حداد ملابسي

اللبلاب يلف الآن خصري

لم ينبت شيء

مسحت كفّي في ملابسي

اللبلاب يلتف الآن حول خصري

رجال دمي..

كلما قلت لأحدهم أحبك

انتفض..

خوفًا من بندقية أبي

الميت منذ سبعين عامًا

ما زال يطارد أفكار الحب

كحارس عقار أرسلوه إلى بلده

بعدما هدمت البنايات

الآن يحرس الزرع خوفًا من انقضاض النحل

كرهًا في العسل.

أقول أحبك..

وأنتفض

رجال دَمي يطؤون الأرض بأقدامهم

متأهبون لستر عار الحب

أعلن حاجتي لعناقك

فأسمع اصطكاك السيوف على الحجر

أهم بنطق اسمك

وكلّما يذكرون الله

أذبح

...

من جوار الرب

أرسل لك حبي كاملًا.

فرس جموح

أحبك

مؤلم أن أحبك

وأشد إيلامًا ألا أقولها لك

فوضى في جيوش قوتي

أنا المرأة الرافض تاريخها الانهزام

لا شيء فيك يثير مخاوفي

غير ضحكتك التي تشبه غناء الفلاحات

في مواسم جني القطن

غير فمك –الذي ما إن يتكلم–

يفيض الزيتون والعنب

وسنابل القمح.

ومواسمي عجاف

قلبك غيطي..

على حوافه أشجار الرمان

وكرزتي صدري

والنخل الصنوان

أنا الممنوعة من تذوق ثمارك

ملجمة فرسي في مضمارك

أحبك..

أقولها قفزًا على الحواجز

لأنني اعتدت جيوشي جوامح

أخاف

بت أخاف القرب منك

أخشى التعمق فيك

أخشى حتى من نسج الخيال

الذي يزين لقاءنا

وأراه جميلًا وأنا بحاجته

في حاجةٍ أن أعري مفرداتي..

تكويني. وأمنياتي

وأعرف أنك ستسمعني

تضيف لي

تهذب هذا الجنون

في حقيقة الأمر...

جنوني لا تخرج خيوله

من حواجز التمني لساحات الفعل

أنا مكتئبةٌ وأبكي

أبكي كما الصغار الذين لا يعرفون شيئا

أبكي لأن أول عهدنا بالحياة البكاء

أبكي مخافة خسارتك

وأبكي خشية أن أمنحك شيئًا لا تستحقه.

قد يمنحه لك الكثير غيري.

أنا كثيرةٌ وفائضة

لكن لي أنا

لا ينقصك شيءٌ إلاي

وأنا ينقصني الكثير

لكني مكتفية

أنت أصدق من الحقيقة

وبقوة الإيمان..

هذا ليس بشعرٍ وليس بنثرٍ

أنا أكتب لك أنت

وأرجو أن تقرأني بعيني

لن أقبل الضعف.

وقد ضعفت فيك..

ولكني إن خسرت هذه الكبرياء

أو بعضها المتبقي

سوف أكون نارًا

لا تبقي ولا تذر

...

دعني ألملم قوتي

وأوراقي وحين تعود...

أخبرني

أخبيء قلبي في جيوبي..

ونسير في شوارع المدينة

الّتي أصبحت موحشةً فجأةً

أنا وعطرك وثالثنا الشّتاء

رائحة (دنهل) ما زالت عالقةً بمعطفي

كما الحنين – صنوانٌ مع قلبي

أتذكّر آخر لقاء

حين سألتك بمضاعفة زخّات العطر

كنت أعرف أنّي أحتاجه قربي

لم أك أعرف...

بأنّه سيكون ذكراي الوحيدة منك.

لتواسيني..

يواسيني.. كما كلّ الأشياء الّتي كانت ثالثتنا

كالمطر العاشق لرقصاتنا تحت زخّاته

بائع الآيس كريم

أختبئ منه.. أسرّع خطواتي..

كي لا يسألني أينك

حزينةٌ أنا يا طرقات الهوى..

متصدّع قلبي..

كما آخر بنايةٍ أثريّةٍ. قبل أن تهدّم

وغباراها يبكي عينيكِ..

مستسلمةً... تائهة..

قولي لي...

لماذا لا أدهس بسيّارة فقدت سيطرتها

لأتناثر على وجهك

وألفظ آخر "أحبّك" وأموت

لتشهدي..

لأنّنا عشنا عمرًا كنتِ ثالثتنا

فشل في أبجدية الوصف

لك السلام والحب

الفاشلة فيه أبجدية الوصف

الممتنعة من الترويض كفرسٍ جموح

لك الكره معتنقا النفس حين خشوع

عليك الحنان..

والبكاء وشق جيوب الوقت كفرًا بالاغتراب..

عليك ومنك عمق المعنى وترف النشوة

وجلد ظهر الذات حين اضطراب

أنت أنت الترف والرزق

وبهاء اللحظة ولذة الآه

أنت السر وبعد الحب وقبل البعث

والذنب الذي لا أسأل الله أن يغفره.

أينك؟

تسألني الأشياء عنك
الأشياء التي كانت ثالثتنا
تتقوس شفتاي والدمع يخلق في الأحداق
وأزفر السؤال بفائض من وجع.. أينك!
مؤلم أن تسألني الطرقات عنك
وأشد إيلامًا أن أتسكع فيها وحيدة
قاسٍ أن أتحسس جبيني الذي
طالما أكرمته بقبلة..
وأشد قسوةً أن تجرحني تجاعيد الحزن
يدي باردةٌ تتوق لعناقٍ..
وشفاهي متشققةٌ

كل الأشياء تستجديك

والوقت أصم..

أينك.. قد اهترأ القلب

أتوق لعناق ينحر أوداج الاشتياق

أحبك..

أحبك..

كمطلب العاشقين للقاء

كصرخة قيدٍ في معصم ثائرٍ

كصدق دمعة تائبٍ شُرح للتو صدره

أحبك..

تنحر الخيبات على أعتاب الروح

تشيد اليقين في عمق الإيمان

تمجد القلب الذي أضفى للحياة ترفها

أحبك..

بحجم ابتسامة أمٍّ حين المناداة الأولى من طفلها

بعدد من آمن ومن أنكر ومن خاب ومن انتقد

بكم ما نبت وما تساقط وما ثبت وما سيكون

أحبك..

عدد أنفاس العاشقين

والمتعبين

والغافلين

والعاملين

والعناق المسروق..

من غفلة الزمن

فقط نلتقي

ماذا سيحدث إن التقينا

ها أنا على جداول الانتظار

أتعبني الوقوف..

باقة الورد التي رافقتني

قطفت أوراقها كاملةً.

محبوسة الأنفاس خوفًا

أن تنتهي بأنك لن تجيء

برد العطر والاشتياق لم يأفل

والقلب مضطرب

أنتظرك أنا وكل أشيائك

وهذا الحنين

وساعتي التي انتزعت عقاربها

مللت الوقت الذي لم يأتِ بك

كلما مر أحدهم بعطرك

قلبي كأنه لأول مرة يخفق

كيف لا يصنعون عطرًا خاصًّا لكل عاشق

يحرم بيعه لغيره..

كي لا تُصَاب جوارحنا بكل هذا الارتباك والعبث

حين نلتقي..

لن أقول

فقط... نلتقي.

الأرملة العذراء..

عليكَ مستيقظٌ الآن.

ألم تنم؟

أم نمت واستيقظت مبكرًا كعادتك!

أظنك لم تتخل عن عاداتك القديمة؟

ما زلت أذكرها كلها.

اليوم ذكرى اجتياح الجيش الأمريكي وتحالفه لبغداد.

أذكر هذا اليوم كأنه كان بالأمس

ظللت مترقبةً خروج الجيوش لإنقاذها.

ظننتهم مختبئين ومن ثم يهاجمون الأوغاد.

كما تفعل الأسود في مراقبتهم لفريستهم.

بكيت طويلًا حين لم يحدث ما رجوته.

كنت أخفي دموعي من عيني أمي

كي لا تعتقد أنني أبكي عليك.

كنت أراها تبكي عليّ دون أن تفصح.

أشفقت على صدري اللين في ذبحته الأولى آنذاك

نعم، أصبت بذبحةٍ قلبية

حين خيرت بأن تقتل بيد عمي أو أنسى أمر الزواج منك.

الأعراف هنا من تحكم ليس الله

أظنه رفع يده عن تقاليدنا!

هل لاحظت في رسالتي حينها طرفها الملطخ بالدماء؟

كتبتها لك وخنجر مغروس سنه في وريد عنقي.

أطعت عمي خوفا عليك

وخشية سمعته بأن تدنس بزواج ابنة أخيه من رجلٍ يحبها.

من قال لك أن الجاهلية الأولى قد انتهت بنزول دين محمد؛

أصفعه حتى يفيق أو أفقأ عينه برسالتي.

أنا بخيرٍ..

أو هكذا أخبر الجميع بابتسامة مرسومة بالزيف

مقاس ثغري.

اليوم ذكرى نفوق عمي المانع لما أحله الله.

الله الذي ما زالت يداه مرفوعةً عنا.

الذي نفق؛

كتب كل أراضينا باسمه بعدما زوجني من ابنه عنوةً.

اليوم ذكرى زواجي الخامسة عشر

ربما كل بكائي كان حنينا إليك..

أردت أن أخبرك فقط أني أصبحت أرملةً..

نعم أرملة..

وعذراء.

سهرة مع طيف

ليلًا..

أختار فيلما معتمدةً على مزاجيتي

أرتب سريري بعناية.

أنثر على الوسائد عطرك وعطري بالتناوب.

وأنثر رشةً أخيرةً على صدري وساعدي وخلف أذني.

أنزع كل أثواب الافتقاد النهاري

وأرتدي قميصًا حريريًّا يغوي جسدي

أضم أنفي في حركةٍ سريعةٍ مغازلةً لك..

ألتصق بك بحجة تجهيز اللاب توب

في منتصف السرير لنتشارك المشاهدة

تضمني حين تأثري بمشاهد الوداع.

تقبلني حين يتسارع نبضي..

نصنع وهجًا خاصًّا على أغنية ألف ليلة وليلة

..

صباحًا

ألملم شحوب افتقادك بعد خيبة التمني

أسحب يدي باردةً من غياب دفء وجودك على سريري

أرتدي أثوابي النهارية الجديدة

للأشغال والعمل وترتيب البيت وإعداد الطعام

أذكر حيرة عينيك بعدما أخبرتك أني

لن أعلق أي آياتٍ قرآنيةٍ في بيتنا.

الجدران لم تُصنَع للقرآن. هذه قناعتي..

لكنني سوف أضع مجسَّمًا للعذراء مريم

سيدة قلبي في بهو البيت

وهنا– والدهشة عالقةٌ بعينيك

نصنع بارًا تحسبًا للوقت الذي

سيأتي ونقدم الخمور للضيوف بدلًا من القهوة

التي أتعبت أمعاءنا

رافعةً سبابتي قائلةً:

"أنا يا سيدي امرأة فاشلة في الادعاء..

لا أعرف الكذب

لا.. لا، ليس ترفُّعًا مني..

أنا لا أجيده، وهذا كل ما في الأمر"

يقف بجواري يسخر من لعبي للشطرنج

ما زال يعرض مساعدته

أتحجج ببراعتي في الدومينو والطاولة..

وفنون الحب

فالنساء صعب أن يعترفن بفشلهن في أي أمر

وأنت تعرف عنادي.

تضحك أضحك ونغرق تلذّذًا بعد كؤوس فودكا –

ما زلت أدعو لصانعي الخمر

الأمر الذي ربّما يدهشهم في الوعد الثاني من الحياة.

ربما يسخرون من دعائنا غير الكافي من نجاتهم...

أتعرف أمرًا..

ربما يكونون هم أول الناجين.

نضحك حتى تستيقظ جارتنا الجائعة

لتسب لنا الوقت الذي سكنا فيه فوقها

أيا رجلي...

ما زال الخمر يرغمني على الأسئلة

يقيم نقاشاتٍ مطوّلةً عن كل شيءٍ دفعةً واحدة

أشعر كأن رأسي تتقاذف منه لعنة الضجيج واللذة مربكة

سؤال يحسم المسألة..

ما الذي سأطهوه غدًا ويحب طيفك أن يأكله

من جوف التيه

باتساع اللامنطوق من البوح

بقوة أمواج التضاد التي تضرب خاصرة اللحظة

نتوءاتٌ تُكتب على جلمود الفقد.. أحتاجك

الوقت عاصف

ومُزن الهجر تملأ سماوات الشعور

وأخاف.. أخاف أن تمطر

إقبالٌ وإحجام

جدلية الرفض والرغبة

نفسٌ تهوى المغامرة

والطرق وعرة

ثم أينك!!

لا تأتيني غير ضحكتك

عريشة للقلب وسلوان لطائر الوجد الفاقد لعشه

والعش قلبٌ (بعيييد) ونبضه هنا تحت أيسر أضلعي

مربكةٌ وحشة المكان دونك

وصامتٌ ضجيج الحياة

ائتني بقبسٍ من ضيائك

أو كل نورك

وأطفئ العتمة في بعض كلي

لتغدوا نورًا في كل بعضي

عناق..

عزيزي..

لن أذكر اسمك – هو معروف في السماوات

أنا في ارتباكٍ حقيقيّ بين الإقبال والإحجام

أتوق لعناق..

عناق!!

ما أجمل هذا الإحساس الذي تنطق به الحروف الأربعة

كل الأشياء الجميلة –إن حذف العناق– بهتت

الناي في عناق مع الحنين.. الوجع

كأن دموعنا تفيض من عيونه

لكني أحب الكمان

فهو يبكي ويفرح

وقد تكون ثالثنا في اللقاء

أقُلت لقاء؟

هنا الإقبال..

أريدك.. تفاصيلك.. صوتك

بكل نبراته.. حدته.. همسه.. عطفه.. إثارته.

لِمَ لا نلتقي لنسبّ هذا العالم وحسب

نسبُ البائع الذي لامس يدي
وهو يأخذ ثمن المارلبورو الأحمر.
أو الخادمة التي سرقت قميص نومي
هذه بالتحديد سوف أسبّها كثيرًا
القميص كان من (أمبريو أرماني)..
أرجو أن تحترق وتُبعث وهو ملتصق بها
وألعن شركات المحمول التي تبث صوتك
متقطعًا، والكلمات غير كاملة
والمدرسة المتدينة التي تفرض على وقتي
و(الواتس آب) الخاص بي.
دروس الدين والفقه والتذكير
تخيل أني أمر بوقتٍ عصيبٍ
لا أحتمل فيه الحديث عن المقدسات

وتأتيني رسالةٌ مثل تلك التي تغدق عليَّ بها.

تظنني سأهدأ وأسرح في الملكوت

ولا تدري بأنها قد تزيد حنقي وحماقتي

من سمح لهؤلاء أن يستبيحوا خصوصيتك

باسم الله والدين!

إحجامٌ..

أخاف التعمق فيك.

أخشى أن أحبك

أنا أحبك.

لكن لا أريد أن أصل لتلك المرحلة

لا تدقق في كلامي.

الكلمات تخرج مرغمةً كي أظهر لك أني في إحجام.

لِمَ نكذب؟

أسوأ ما يفعله المرء هو الكذب

أهنالك مخلوقاتٌ غير الإنسان تكذب!

أنا بحاجة لهذا اللقاء

سأخبرك عن الأمور الثقيلة على صدري ليتسع

تلك الأرملة التي ما زالت تبكي على زوجها

وتنتحب في ذكراه الخامسة.

هي من قتلته

الصيدلي أخبر جارتي أنها ابتاعت منه حبوبا زرقاء،

جارتي حكت لي أنها وضعت حبة في العصير وشربه.

كانت في أشد الاحتياج

وكان في أشد الضعف

لذا ساقه إلى أن يأخذ حبة تبيض وجهه ووجهها.

فكانت طامته سوداء بتضاعف القوة التي

لم يحتملها ومات

مات قويًّا

ههه.

عاشت قاتلةً ضعيفةً

يا.. لن أذكر اسمك

فبعض المبهم مغرٍ

لن أضع مساحيق تجميل.

لذا فلا تستغرب ملامحي

أنا أكثر براءةً دونها.

أضعها لأتناسب مع وحشية العالم وحسب

ولن أضع عطرًا

كي لا أعود بعطرين

كي لا يعرف الناس أن ثمة عناقٌ قد حدث

أختم رسالتي لك بأني أحبك

تقولها كل الأشياء لك

حتى الأغاني التي انتبهت لكلماتها فجأةً

وباتت تطربني

المساكين وأطفال الشوارع

الذين أغدق عليهم بابتساماتي

لذا أشهدك بأني عفوت عن الخادمة السارقة

ماذا سيحدث..

ماذا سيحدث..

إن قابلتك صدفةً وتعانقنا

وتلاثمنا، وقبلتك عشرة آلاف قبلة

عدد الدمعات في غيابك

ماذا سيحدث..

لو أخبرت كل المارة والمجانين والعاشقين

والقساوسة وشيوخ الدين وعمال النظافة

بأني أحبك..

من قبل العقل.. من قبل الصبر

من بعد الكون والعالم أجمعين

ماذا سيحدث..

إن تشابكت أيدينا وقلنا لكل الأعراف والعادات

والحماقات والمحظورات..

تبًّا لكم

ماذا سيحدث..

لو منحنا المارة مشهد حبٍّ وعناقًا ينحر أوداج الاشتياق

ليكونوا شاهدين على أن هنا على وجه الكوكب العبوس..

قلبين عاشقين

ماذا سيحدث إن كتبت أحبك

على الجدران..

على وجوه الضالين

ماذا سيحدث..

إن رجمنا سويًّا شياطين الخوف والاضطرار

حق الحب

وحق الحرية

وحق الحياة

ماذا لو رجمناهم لنسرق قُبلةً

تكون لنا عيدًا وعهدًا جديدا

صلوات عباد الشمس

حين قلت لك أحبك..

كنت أعد مناديل

ليالي الزفاف في قريتنا

ذات الدماء المزيفة والحقيقية

كنت أفسر آيات "العَبَّاد"

في صلاته للشمس

كنت أعيد بصر أمي

بنور ذكرياتها مع أبي

حين قلت لك أحبك

كنت أقصد ابتسامة الزوجة

التي كانت معطوبةً وهي تتابع

أصابع وليدها الأول

كنت أقصد زغاريد حينا

عند زواج البنات

كنت أشرح لمَ ابيضت وجوه الرجال

حين معرفة نوع جنينهم أنه ذَكر

كنت أبكي كأمٍّ لسبعة بنات

للتو ولدت الثامنة والتاسعة ملتصقتين

حين قلت لك أحبك

كنت أقصد أني...

دعني أشرح من جديد!

لم تخبرني أن لك شبيهًا

كنت أطوف حول بيتك أشواطًا

كنت أسبّح باسمك. بحبك

حتى لمحتني عيون حارس العقار

ضللته بوقوفي اليومي أمام ماكينة الصرافة

ذهبت مرارًا لصالون التجميل المقابل لبيتك المقدس،

جربت كل الألوان في شعري وكل القصات

لم يتبق في رصيدي الكثير. أضعت مالي

في صالون التجميل وأطفال الشوارع ومحل الحلوى،

خسرت شعري وخسرت مالي وزاد وزني

ثم تبًّا لك، لِمَ لَم تخبرني أن لديك شبيهًا!

حين ابتعدت..

حين ابتعدت؛

تبعك الأريج والاخضرار والطير

حين ابتعدت..

كلما وددت أن أقول اشتقت

سقط غصنٌ من قلبي

وأنَّ العطش في جذوعي

قنواني يابسة

لا قيمة للنخل حين تجف قنوانه

تبتر وتشق ويسقف بها بيت عجوز

أبكي عليك وعلى رطبك

وأفراخ العصافير

وأسقط دمعةً على وجه الخالة العجوز

عطرك العالق براحة كفي..

تسع سنواتٍ أتدرب:

ما الذي أقوله

إن صفعت صدفة اللقاء وجه القدر

أمشط شوارع المدينة بعينين، يغطي الدمع لونها

تحبس الأنفاس لمرور عطرٍ شبيه عطرك

ما زال عطرك عالقًا براحة كفي.

أتبع خطو صاحبه ليغرس خنجر الخيبة

في خاصرة الأمنية بيد مجهول

تسع سنواتٍ..

أتجرع نقيع الحنظل

تكفنني الأيام بيدٍ باردةٍ

كل الدعوات والصلوات والرجاء، فقاعات هواءٍ

قضت نحبها قبل أن تصعد للسماء الأولى

سكبت عيني آخر قطرة توسلٍ

لم تر السماوات وجهي

ولم أرسل لأحدٍ التحيات

تسع سنواتٍ..

على جداول الانتظار أقضم الصبر المر

واقفةٌ على شوك اللحظة وخضرة التمني،

أسبُّ كل الأشياء التي لم تأتني بك

كارهةٌ لكل الضعف ومرارة الخذلان

وما زال القلب رغم هذا كله..

يحبك في الدقيقة ألف عام.

كاذب من يخبرك بأنه حر

تنتابني نوبات الشتات

فلا روحي تعلق على شهقاتها

رايات السلم

ولا هي

تلعن فتقذف في جحيم الجنون

وأنا بين إقبالٍ وإحجام

على حواف الضجر والسكون والحماقة

فقط

لِمَ لا يتوقف الضجيج خلف أسوار صدري

ويعم السلام على أرجاء جوارحي

لِمَ الدمع متجمدٌ

والقلب يئن

ورغم الأنين ما زال ثغري مبتسمًا

صامتةٌ وداخلي ثورة ضجيج

أقرأ متغيرات الحياة

لا شيء ثابت غير التيه

المعنونة به لحظتي!

أنا في شتاتٍ حقيقيٍّ أيها القدير

بين ما أريده وبين ما أرضخ له

ولم أعهدني راضخةً

إلا بتسامحٍ منّي

أو لأن العواصف أشد

التيه الذي يضرب بسياطٍ قاسيةٍ

ظهر الأنا بكل ما فيها من يقين

وأسئلةٍ محرَّمةٍ وشائكة

بيني وبين نفسي

يرغمني الألم على الصراخ دون بكاءٍ

غدوت أشلاء.

لا أعرف أي جزءٍ لي ينتمي

أو لأي طريقٍ تأخذني العواصف.

تحرُرٌ يلوح في نهاية الطريق

وكل ما أخشاه إن سلكته.

أن أجده سرابًا

تعبت من التوهم.

يقتلني النور المتعارك مع الظلام في عقلي

ويدي مغلولة.

كاذبٌ من يخبرك بأنه حرّ!

ترانيم عاشقة..

آمين..

تختم دعاءها غير المنطوق

في سجود الفجر

تزين وجهها بعنايةٍ

تضع أحمر شفاهٍ جديد

تفيض عليها من العطر

آمين..

والدعوات مسجونةٌ

تدندن "آه حبيبي.. وكمان حبيبي"

تضع طلاء أظافرٍ

ثوبٌ جديدٌ يغطي ثورةً أزليّة

الرجاء مطرقةٌ

والقلب والوقت والوجد سندان

ترفع المآذن تكبيرات العيد

آمين..

عيناها تتوق لصدفةٍ كانت كل دعائها

في الأواخر العشر

صدفةٌ تمحو العقبات

من طريق الحظ الذي أضحى عثرًا

صدفةٌ تُمحى من جبين الانتظار

اعوجاج الشوق

الله أكبر..

اشتياقها كبير

لله الحمد..

فقط لو يستجيب

المصلون في بهجة وجههم النضير

مخطوفٌ قلبها.

أنفاسها تستجير

آمين.. آمين

عيناها تجوب العيون

علّ عينًا تشرق في وحشتها شموسًا.

ينشب عراكٌ خلف ضلعها الأيسر الثمين

عطره هنا.. نعم هنا

أينه!

يستجديه العطر والثوب وحمرة الشفاه

وارتباك النبض

ينادي المنادي.. أن استقيموا

يا صاحب الصوت أي استقامة

القلب تراه الآن عربيدًا

الله أكبر سبعًا

الله أكبر خمسًا

السلام عليكم على الشمال

انتهى العيد

عتاب..

يا الله؛ أين الصدفة؟

أين العيد؟

تنظر للسماء

التي أغلقت على الرجاء الطويل

تهز رأسها يأسًا

ألا تثقل دعواتنا على السموات فتنفرج

لتسقط على رؤوسنا تترا؟

يميتنا الخذلان ووصفر الدعوات

تعود ببؤس الخيبات

وتحييها رسالة:

"لقد كنت بجانبي. ألم تلاحظين!"

تضحك لتصاريف القدر

ترى أقبل دعاءه؟ ورجائي سقيم

أم أن السماوات خشيت عليها فرحة اللحظة

فضر النظر وهو بصير

إن الرب بقلوب العاشقين.. رحيمٌ

ثمّة غياب..

ثمة غياب

يسرق منا اليقين

غيابٌ يتبعه الشجر والزهر والطير والأريج

حين الوداع الذي يسبق التيه..

ألف خنجر بخاصرتك.. والدمع كريم

والغصة التي تتوسط صدرك

تتعثر بها أنفاسك.. والنبض غريب

جسدك..

جزء منه أصبح جلمودا

لا أبكي غائبًا..

أبكي على قلبك الشقي

الذي كفّنتُه بيدي ورغم ذلك ما زال حيًّا!!

ابتسامتك

ابتسامتك..

كفيلةٌ بأن تميت حظي العاثر

بأن تزيل العطب من طريقي

غامضةٌ..

كما نظرة معتقلٍ يرى أمه

بعد أن أمضى شبابه يعاقَب باطلًا

مبهجةٌ..

كاحتضان صبيةٍ وتعلقها في كتفيّ أبيها

العائد للوطن بإصاباتٍ طفيفةٍ في جسد مقاتلٍ

معاتبةٌ..

كعاشقٍ ملّ الوقوف على جداول الانتظار

ومل استجداء عقارب الوقت في إعلان مجيئها

عاشقةٌ..

كأول عناقٍ لعاشقَين

كأول عطرٍ يكون ثالثهم

حميميةٌ..

كإثر قبلةٍ على عنق اللقاء

هل نلتقي؟

أتعرف ما الذي يخيفني؟

ويقض مضجعي..

ألّا نلتقي

أن يبرد الشوق وتخفت آهة التمني

أغفو بين رؤى اللقاء

المتأهب المنتظر

وأرى حسنك في المنام كمن رأى

نارًا بها يصطلي

أحبك..

قبل قياس المسافات

قبل إغواء آدم..

وقبل أن يلوّن الوقت بضجر اللهفة

أحبك..

منذ تكوير الأرض ونهدي

منذ خلق الابتسامة على شفاه الموناليزا بيد دافنشي

أحبك..

كتلازم الشهادتين بقلب صدّيق

كعمق الإحساس باليقين

أحبك..

قبل النطق بحروف الهجاء

منذ عناق الحاء بالباء

أنا أضحك

أنا أضحك..

لتستحي التجاعيد من قربها لوجنتيّ

وعن جبيني..

جبيني الذي يحمل أسماء الغائبين عن تقبيله

حتى يحين اللقاء

فلا تعكر إعوجاجات تأريخ العتاب صفو تقبيله

ناي

ما إن يأتي صوتك

أتحول إلى ناي

الثقوب جوارحٌ

يفيض منها الدمع

بكاءٌ على عزف

طوت السماء تمنيه

أذكرك بين الناس سرًّا،

وإن انشغلت عنك بالناس

أذكرك كناسك يمسك مسبحته

يردد قلبه.. وتعد أصابعه:

أحبك، أحبك، أحبك

فهرس المحتويات

الإهداء.....5

أنا قصائد تترى.....9
أبي.....17
أمّي.....21
القرويون.....25
الأماكن.....28
برقيةٌ للغائبين.....31
ابنتي.....33
أصدقاء السماء.....38
رسائل محترقة.....40
بكاء الأشياء.....45
ثورة الأحمر.....47
أضاحي.....49
بكاء النيشان.....51
أسوأ القصائد.....53
سرك الحجر.....56
اختصام.....58
ولوج العاصين الجنة.....62
من أكون.....63
ترويض.....65
عزيزي.. كيف حالك.....66
رجال دمي.....69
فرس جموح.....71

أخاف.....73
أخبيء قلبي في جيوبي.....76
فشل في أبجدية الوصف.....78
أينك؟.....79
أحبك.....81
فقط نلتقي.....83
الأرملة العذراء.....85
سهرة مع طيف.....88
من جوف التيه.....92
عناق.....94
ماذا سيحدث.....101
صلوات عباد الشمس.....103
لم تخبرني أن لك شبهًا.....105
حين ابتعدت.....106
عطرك العالق براحة كفي.....107
كاذب من يخبرك بأنه حر.....109
ترانيم عاشقة.....112
ثمّة غياب.....117
ابتسامتك.....118
هل نلتقي؟.....120
أحبك.....121
أنا أضحك.....122
ناي.....123